

1- مظاهر اهتمام السوقيين بالأدب العربي:

ليس الكلام عن الحركة الأدبية في المدارس السوقية بمعزل عن الكلام عن المناهج التعليمية، التي سوف نتحدث عنها في وقت لاحق. بل هو فرع من ذلك الأصل والأدب لدى المدارس السوقية يتمتع بنصاب كبير من المواد التعليمية، وهذا ما جعل المكتبة الأدبية السوقية تحتفظ بموروث ضخم من الأثرية الأدبية التي لم تكن غائبة في فترة من فترات تاريخ هذه المدارس. وهي إذ لا تخلو منها فلا يعني ذلك كون الفترات السابقة تتمتع بالضرورة بنفس الحجم الذي بين أيدينا اليوم، أو مزدهرة في كل وقت وأن، بل لانسبغ وجود عوامل ركود وهبوط، تعرفوا بعض هذه الفترات، وعلى الرغم من ذلك فإن الأدب والاهتمام به لم يزل يجري ويسير في عروق تلك الحركات بدون استثناء ويليق بالذكر هنا القول بأن المدارس السوقية اهتمت بالأدب وتدوينه اهتماما لا يضارعه أي اهتمام، وتشربته نفوس روادها وقوادها وكاد يطغى على كل فن ويزاحم كل تخصص، وصار جزءا لا يتجزأ من علومهم وحياتهم، وتحول إلى كعبة يطوف بساحها الجميع قال أحد شعراء السوقيين محمد إغلس بن محمد الإدريسي السوقي في رده على من يلومه على ممارسة معاطات السجال الأدبي.

ماذا على منتدب إذا انتدب
 ذنبا ولو عا بلطائف الأدب
 همته فض خواتم المنخب
 كم فض عن مختومها ختما وصب
 لطف الميانع غضا والمرطب
 في تالدها ولانشب
 يغربل المنقول ملقى الريب
 مستصفا ناصعه إيمان شب
 في تالدها ولانشب
 من عائق مشوش ولما أرب
 دته لما يثغررتب
 وجذبته للمعالي فاجذب
 لم يزل مثافنا حين الطلب
 قدى المنحارير فأثقل الغيب
 وكم طوى أعشاه على المسغب
 وذلك من تدابه على الطلب
 وكم مداد قد أفاق وكتب
 وكم يراع شجه وكم قصب
 إلى أن قال:

غنوا بها لدى المقاهي والمطرب
 وليلة العرس إذا ما المطبل طب
 فلا تستثنى من ذلك طبقة من الطبقات ولا فرق في ذلك بين العلماء والمزهد والعباد وغيرهم. بل نجد عالما نحريرا يتفنن في إجادة صياغة الشعر، فيساعده خيال محلق وعاطفة مطواعة، فيسمح له خياله بأسلوب شعري عذب، تتقاصر دونه قدرات الشعراء المشاهير، والبلغاء المصانيع وتراه أحيانا لا يعبا ببعض الأعراس الشعرية التي لا تتقاطع مع الشعور الإسلامي لديه، فيخوض في وصف الثغر والطرف والجيد والمقد، ودعج العينين، ويستترسل في مثل هذه الأوصاف المغربية، وهذا نفس حال الشباب الذين ذراهم يرتعون في مريع الشعر العربي ويطبقون نفس الأسلوب، إلا أنني لم أطلع رغم البحث الشديد على من قال قصيدة غزلية في معين، ولما من شيب إلا باسم يختلقه خياله، خلاف الجاهليين، وبعض المولدين وحالمهم أشبه بحال القائل:

وطائفة الوصل عفت عنها ...
 دت في الملي ل سافرة فباتت ...
 وما من لحظة إلا وفيها ...
 فم لك الهوى جمحات قلبي .. لأجري في المعفاف على طباعي
 وببها مبيت السقب يظما ...
 كذاك الروض ما فيه لم ثلي ...
 ولست من السوائم مدهم لات ... فأتخذ الرياض من المراعبي

ولما يخفى أن المنابع الدينية التي يستقي منها الطالب في أول مراحل تعلمه الأدب والشعر، هي التي فرضت هذا الجو على الشعراء السوقيين وأدبائهم، علما بأن الأدب بشقيه النثري والشعري يشان مع الطالب منذ الوهلة الأولى ويتغذى بهما فكره حتى يعودا جزءا لا يتجزأ من تكوينه العلمي، ومن ثم تبقى رواسب ذلك معه إلى زمن الكهولة. وهناك أسباب غير ما سبق، ويمكن أن نستأنس بها أو نتضاف إلى ما تقدم نلخصها فيما يلي:-

1- بعض الأدباء والشعراء السوقيين يرون أن وراء هذه المتعابير وتلك الأوصاف سبب خارجي، وهو محاكاة الجاهليين والمولدين في تلك الأوصاف لأنها تعد عند الأدباء معيارا ومحكا لروعة الشعر وقوته.

- 2- استعراض القوى الإبداعية والبيانية خاصة بالنسبة للشعراء السوقيين الذين غالب شعرهم محكوم ومصبوغ بالتحديات والمساجلات، والردود المضادة، فاقضى الأمر تزويد القصيدة بشيء ما من العيار اللغوي الثقيل والذي يضيف عليها طابع التحدي.
- 3- إحاطة القصيدة بهالة من القبول والاحترام لدى من يرى بدعية المقدمات الطللية، التي لم تطعم بالغزل والتحدث بالأوصاف المادية المغربية التي تحدث بها امرؤ القيس وغيره. □
- وهناك نوع من الشعر أبدع فيه السوقيون وجمعوا فيه بين قوة الشعر، والبحث العلمي الرصين، ونسبيته (بالشعر العلمي)، وسوف يمر علينا ذكره والوقوف عنده، وإبداعهم فيه يكمن في أنهم وظفوا القصيدة العربية، في أغراض علمية، وحاولوا الحفاظ مع ذلك على القواعد المقررة لجودة القصيد وقوته، من بديع وبيان، وغير ذلك.